Kufa Journal of Arts
September 2024. No. 61, P 34 - 48
Faculty of Arts, University of Kufa.

مجلة آداب الكوفة
العدد ٦١، ايلول ٢٠٢٤م، ص ٣٤-٤٨
كلية الآداب، جامعة الكوفة

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

تهافت النفس امام المغريات الدنيوية.. دراسة تفسيرية

زينب شاكر عباس
جامعـــة الكوفـة ـ كلية الفقه ـ قسم الشريعة والعلوم الإسلامية

أ.د. صباح عباس عنوز
جامعـــة الكوفـة ـ كلية الفقه ـ قسم الشريعة والعلوم الإسلامية

الملخص:

فقد مَنَّ الله علينا إذ أنزَلَ كتابه الكريم على نبيه الأمين تبياناً لكل شيء فجعله مائدة دائمة للعقول تغور في معارفه التي لا تنضب إلى يوم القيامة، فهو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل مِن بين يديه ولا مِن خلفه تنزيل مِن حكيمٍ حميد، فتمر عليه الأيام فلا تزيده إلاّ طراوة وكأنَّه أُنزِل لأهلِ الزمانِ الذين ينظرون فيه فعلومه ومنها التفسير لم تتوقف في مدة من الزمن أو مرحلة مِن مراحل التاريخ سواء كان ذلك في الدراسات التي قدَّمها المسلمون أو المستشرقون فدأبت عقولهم كفرَاشات تدور في رياض القرآن لتجني غذاءً طيباً للأبدان والقلوب فكلّ جيل يمر على كتاب الله يأخذ نصيبه مِن علومه فيترك بصمة لمَن يخلفُه. وانطلاقاً مِن هذا المعنى ولترك بصمة في هذا المجال أقوم بهذا الجهد المتواضع الذي آمل مِن الله أن يتقبله ويضاعفه.

الكلمات المفتاحية: تهافت النفس- دراسة تفسيرية ـ المُغريات الدُنيوية.

Self-restraint in front of worldly temptations. An explanatory study

Zainab Shaker Abbas
Faculty of Jurisprudence - University of Kufa

Prof. Dr. Sabah Abbas Anouz
Faculty of Jurisprudence - University of Kufa

Abstract:

God has favored us when He sent down His Noble Book to His faithful Prophet as a clarification of everything, so He made it a permanent table for minds to delve into its inexhaustible knowledge until the Day of Resurrection. It only increases its freshness, as if it was revealed to the people of the time who look at it, and its sciences, including interpretation, did not stop in a period of time or a stage in history, whether that was in studies presented by Muslims or orientalists. The Book of God takes its share of its sciences and leaves an imprint on those who succeed it.

Based on this meaning and to leave a mark in this field, I am making this humble effort, which I hope God will accept and multiply.

Keywords: Incoherence of the soul - an explanatory study - worldly temptations.

DOI: https://doi.org/10.36317/kaj/2023/v1.i57.12310
Kufa Journal of Arts by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4. 0 International License.
مجلة آداب الكوفة ـ جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي.

تهافت النفس أمام المُغريات الدُنيوية

إنَّ مِن عجائب ما أودع الله في الإنسان (النَّفس) جعل سعادته وشقاوته تدور مدارها، قال تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا, وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾[١]، وقد حذّر الله تعالى الإنسان في مواضع متعددة مِن كتابه الكريم أن لا يكون همه الوحيد هو الدنيا ونسيان الآخرة، فإنّ مِن المؤلم تجد كثيراً من الناس يتعلق بدنياه يحبها ويهتم بها ناسياً آخرته، فيُذكرهم الله تعالى بقوله: ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾[٢]، فالنَّفس تُحرّك الإنسان على وفق ما يُريد وعليه أن يُوظِف خطواتها للخير لأنَّها مأخوذة مِن النَّفاسة وهي الجلالة[٣]، فما دام الرسل قد أبلغوا الإنسان أن الله عنده ثواب الدنيا والآخرة، فلِمَ يغفل ولا يأخذ الزيادة، ولِمَ يذهب إلى صفقة الدنيا فقط؟ والله سبحانه يملك ثواب الدنيا مِن صحة ومال، وكل شيء وإن أجتهد الإنسان في الأسباب يأخذ نتيجة أسبابه[٤].

والثواب هو الذي يعود على الإنسان مِن أي عمل يعمله، إن كان خيراً فخير وإن كان شراً فشر، ثم أطلق الثواب في القرآن الكريم على الجزاء، وذلك في مقابل العقاب الذي هو جزاء الشر، والمُراد هنا على هذا الأساس نعيم الدنيا، والنتائج الطيبة لأعمالها، ومعنى النص السامي مَنْ يكون مِن شأنه وطوعة نفسه أنْ يطلبَ نعيم الدنيا، وما فيها مِن خير، فإن الله سبحانه وتعالى يُعطيه ما يطلب إن إتجه إلى طلبِها عن طريقِ الحقِ والدين، لأن الله سبحانه وتعالى ذو السلطان الكامل في الدنيا والآخرة هو وحده عنده نعيمهما معاً[٥]، قال تعالى: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ**﴾[٦]، ولم يقل سبحانه: إنَّ ﴿**الْآخِرَةَ**﴾ في مقابلة للدنيا وإنّ مَنْ يأخذ الدنيا لن يأخذ الآخرة أو العكس بل يُريد سبحانه-للإنسان- أن يأخذ الدنيا والآخرة معاً، فعلى مَن يُريد ثواب الدنيا ألاّ يَحرِم نفسه مِن ثواب الآخرة، وكلمة ﴿**الدُّنْيَا**﴾، تُوحي بأن على الإنسان أنْ يعملَ، فالثواب جزاء على عملٍ، فإن أرادَ أحدٌ ثواب الدنيا فلابد أن يعمل مِن أجل ذلك، فلا أحد يأخذ ثواب الدنيا مِن دون عمل[٧]، إن قوله تعالى: ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**﴾ "جزاء الشرط بتقدير الإعلام، والإخبار، أي: مَن كان يُريد ثواب الدنيا فأعلِمه وأخبِره إن عند الله سبحانه ثواب الدارين فما له لا يطلب ذلك، أو يطلب الأشرف وهو ثواب الآخرة"[٨]، "ولَمَّا كان شأنُ التقوى عظيماً على النُّفوس، لأنَّها تصرف النَّاس عن إستعجالهم لمنافعِ الدنيا على خيرات الآخرة، نبههم الله سبحانه إلى إن خير الدنيا، وخير الآخرة بيده تعالى[٩].

ومنهم مَن يرى: أنَّه الجزاء إلّا أنّه مؤوّل بما يجعله مُرتباً على الشرط؛ لأنّ مآله أنّه ملوم موبَّخ لتركه الأهم الأعلى الجامع لما أراده مع زيادة، وقيل: المُراد: أنَّ الله سبحانه عنده ثواب الدارين فيعطي كلاً ما يُريده[١٠].

ويجوز أن تكون الآية تعليماً للمؤمنين، أي: أن لا يصدُّهم الإيمان عن طلب ثواب الدنيا، إذ إنّ الكل مِن فضل الله، ويجوز أن يكون تذكيراً للمؤمنين بأن لا يُلهيهم طلبُ خيرِ الدنيا عن طلبِ الآخرة؛ لأنّ الجمعَ بينهما أفضل، وكلاهما من عند الله على نحو قوله سبحانه: ﴿**وَمِنْهُم**

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ* أُولَـئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾(١١) (١٢).

فقد مدح الله سبحانه وتعالى مَن يسأله الدنيا والآخرة، فقال: ومنهم مَن يقول: ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة وقنّا عذاب النار، فجمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا، وصرفت كل شر، فإن الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دُنيوي، من عافية، وزوجة صالحة.. الخ.

أما الحسنة في الآخرة، فأعلى ذلك دخول الجنَّة، وتوابعه ومنها الأمن مِن الفزع الأكبر في العرصات، وتيسير الحساب، وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة، أما النجاة من النَّار فهو يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا من اجتناب المحارم والآثام وترك الشُبهات والحرام (١٣).

وقد تكون الآية تعليم للمؤمنين بأن لا يطلبوا خير الدنيا من طرق الحرام، فإنّ في الحلال سعة بهم ومندوحة، وليطلبوه من الحلال يُسهل الله حصوله، إذ الخير كله بيد الله، فيوشك أن يَحرِم مَن يطلبه مِن وجه لا يرتضيه ولا يبارك له فيه(١٤).

ومن عظمته تعالى ولطفه وفضله ورحمته جعل ثواب الدنيا جائزة لمَن يعمل، سواء آمن أم كفر، إلاّ أنَّه خص المؤمنين بثوابٍ باقٍ في الآخرة، ولذلك قال:(إنّ الدُنيا متاع) في قوله سبحانه: ﴿**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾(١٥)، ويزيد الحق سبحانه وتعالى على ذلك بقوله: ﴿**فَعِندَ اللهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَكَانَ اللهُ سَمِيعاً بَصِيراً**﴾(١٦)، وليس هناك طريق يعطي الإنسانَ جزاءين، ثم يقصر همته على جزاء واحد، فمعنى الآية الشريفة: حينما تكلم الله سبحانه عن الثواب دلّ على أنّه لابد مِن العمل في الدنيا ليأخذ الإنسان نصيبه وعليه يكون الثواب، ولم يذكر عز وجل أنَّ للآخرة ثواباً، فالآخرة دار جزاء، والدنيا هي مطية، وطريقُ سبيل، فكأن مَن يعمل ويجعل الله في باله، فالله يعطيه ثواباً في الآخرة(١٧).

والمُراد بالثواب في الآية معناه اللغوي لا الشرعي، وهو الخير وما يرجع به طالب النفع من وجوه النفع، وعلى الإحتمالات كلها فإن جواب الشرط بـ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا**﴾، محذوف، تدل عليه عِلتِه، والتقدير: مَن كان يريد ثواب الدنيا فلا يعرض عن دين الله، أو فلا يصد عن سؤاله تعالى، ولا يُحصِل الثواب مِن وجوه لا ترضي الله سبحانه، وليطلبه مِن وجوه البِر؛ لأنَّ فضلَ الله تعالى يسع خير الدنيا وخير الآخرة، والكل من عنده (١٨).

وقوله تعالى: ﴿**وَكَانَ اللهُ سَمِيعاً بَصِيراً**﴾(١٩)، بمعنى أنَّ الله يسمع ويرى أقوالهم وأفعالهم، فخصَّ به النَّاس على الإخلاص في القول والعمل، أي: أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى سميعٌ لكل ما يجهر به النّاس ويسرونه، بصيراً بأحوالهم الظاهرة والخفية، وسيجزيهم سبحانه بما يستحقونه من ثوابٍ أو عقاب، ﴿**يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾(٢٠) (٢١)؛ لأنّ إرادة الثواب إمّا بالدعاء وهو مسموع وإما بالسعي، وهو مبصر، وقيل: السمع والبصر عبارتان عن إطلاعه تعالى على غرض المُريد للدنيا أو الآخرة، وهو عبارة عن الجزاء(٢٢)، ولا يتأتى ثواب الدنيا والآخرة إلاّ بالعلم عند العمل، فالعمل هو كل حدث يحدث من جوارح الإنسان

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

من قول أو فعل، ولتوضيح هذا الأمر نذكر قوله تعالى: ﴿**كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيم، وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ، وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمّاً**﴾[٢٣].

فالأغنياء عند سماعهم لهذا القول الشريف عرفوا سلوكهم؛ لأنّ معرفة السلوك تتبين مِن إيحائية الخطاب, ولما سمع الفقراء هذا القول كأنّهم قالوا: نحن لا نملك ما نُطعِم به المسكين، فكان في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ**﴾، ما يوضح لهم الطريق الى العطاء، أي حضوا غيركم على العطاء، فالذي لا يملك يمكنه أن يكلم الغني ليعطي المسكين، والحض هو الكلام وهو نوع من العمل[٢٤]، وبذلك يتقوَّم سلوكهم, إذ (لابد من وجود الدلالة الإيحائية, أي ما يستطيع السامع أن يأخذه من عِبر ودلالات تلك الصور, وهذا ما يطلق عليه بتحطيم الخطاب المباشر أي إن الإنسان يرى عِبر الصورة ماحصل للناس أو الوجود فيتعظ, ويقوم بتهذيب نفسه بنفسه)[٢٥].

وفي قوله تعالى: ﴿**لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[٢٦]، يستنفر المؤمنين لينصروا دين الله، فالله سبحانه وتعالى أعفى الضعفاء والمرضى، الذين لا يجدون ما ينفقون في القتال، وأسقطه عنهم ولم يحاسبهم عليه ولكن في الآية نفسها ما يحدد المطلوب من هؤلاء وهو أن ينصحوا لله ولرسوله, فغير القادر يمكنه أن يتكلم بفعل الخير، ويُذكِر به الآخرين، وينصح به، هذا هو معنى قوله تعالى ﴿**وَكَانَ اللهُ سَمِيعاً بَصِيراً**﴾[٢٧]، أي يسمع سبحانه قول مَن لا يستطيع ولا يملك القدرة على سلوكٍ ما، وسبحانه بصير يرى صاحب كل سلوك، فالعمل الذي يحتاجه ثواب الدنيا هو إنفعال كل جارحة بمطلوبِها، فاللسان جارحة تتكلم، واليد تعمل، فكل جارحة من جوارح الإنسان تعمل حتى القلوب، والمقابل للقول هو الفعل، وكلاهما عمل، وهنالك نوع آخر من الأعمال لا هو قول ولا هو فعل، وهو (النِّيَّة القلبية)[٢٨].

فعلى الإنسان أن يطلب خير الدنيا وخير الآخرة بتوفيق الله إياه، ويقول: ﴿**.. رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾[٢٩]، إذْ يتوقف هذا الأمر على الإنسان نفسه، ودرجة إيمانه ولإرادته دخل في ذلك، فيعطيه الله ما يطلب كلّه أو بعضه بحسب سنن الله سبحانه المقتضية لحكمته.

وفي قوله تعالى: ﴿**مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً, وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً, كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً, انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً**﴾[٣٠].

إن هذه الآيات تحث الإنسان على سنن الله تعالى التي أثبتها في كتابه، فلا يظنّ أنّ عطاءه سبحانه، وتفضيله لبعض النّاس جُزافاً، بل أنّ الإرادة تجري على السُّنَن التي أقتضتها الحكمة وكل شيء عنده بمقدار[٣١].

ولا ننسى دور الإرادة الإنسانية، فلإرادة الإنسان دخلٌ في تلك السنن والمقادير، ولذلك قال: ﴿**مَّن كَانَ يُرِيد**﴾, ﴿**وَمَنْ أَرَادَ**﴾، فإعرف قيمة إرادتك أيها الإنسان وإعرف قبلها قيمة نفسك،

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

ولا تجعلها كنُفوس الحشرات التي تعيش مدة من الزمن، ثم تفنى كأن لم تكن شيئاً مذكوراً[٣٢]، فالإنسان لم يُخلق للفناء وإنما خُلِق للبقاء، وله في الوجود طوران: طورٌ عاجل قصير – طور الحياة الدنيا – وطورٌ آجلٌ أبدي – طور الحياة الآخرة، وسعادة الإنسان في كلِ مِن الطورين تابعة لإرادته، وما توصَّل إليه من العمل في حياته، فأعمال الناس متشابهة، ومشقتهم فيها متقاربة، وإنّما يتفاضلون بالإرادات والمقاصد، لأنّها هي التي تكون تارةً علةٌ، وأخرى معلولاً لطهارة الروح، وعلو النَّفس وسمو العقل ورقة الوجدان، وهي من المزايا التي يُفضَّل بها إنسان على إنسان[٣٣]، فالإرادة الأثر البالغ في سعادة الإنسان وشقائه.

ولمَّا كان لإرادة الإنسان دور في سعادته فقد أمرَ الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، بالإعراض عمَّن تولّى عن ذكر الله، ولم يؤمنْ بالآخرة، ولم يردْ إلاّ الحياة الدنيا [٣٤]، ولا يؤمن بالآخرة ولا يحسب حسابها، ويرى إن حياة الإنسان على هذه الأرض هي غاية وجوده، لا غاية بعدها، ويقيم منهجه في الحياة على هذا الاعتبار يقول الله سبحانه: ﴿**فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى**﴾[٣٥] [٣٦]، وممَّا تجدر الإشارة إليه إن ضعف إرادة بعض المسلمين في غزوة أُحد، كان سبباً في هزيمتهم بعد أن كان لهم النصر الساحق في أوائلها، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ**﴾[٣٧]، فالإرادة المذكورة ههنا هي إرادة المسلمين بعد ضعف نفوسهم أمام إغراء الغنائم، ومنازعتهم فيما بينهم ومخالفتهم أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، حيث كانوا فريقين، فريقٌ يريد غنيمة الدنيا، وفريقٌ يريد ثواب الآخرة، والقرآن بهذا الأمر يُسلط الأضواء على خفايا القلوب التي ما كان المسلمون إنفسهم يعرفون وجودها في قلوبهم، فيعرِّفهم بثبوت مطامعهم وجلاء الإخلاص والتجرد الذي لابد منه في معركة العقيدة، فإنَّها ليست ككل معركة إنَّها معركة في الضمير، ولا انتصار في معركة الميدان دون الإنتصار في معركة الضمير، إنَّها معركة لله، فلا ينصر الله عز وجل فيها إلاّ مَن خلِصَتْ نفوسهم له سبحانه[٣٨].

إعلم أنّ الدنيا ماهية في نفسها، وماهية في حق العبد، أما ماهيتها وحقيقتها في نفسها، فعبارة عن أعيان موجودة: هي الأرض وما عليها، والأرض هي العقار والضِياع وأمثالهما، وما على الأرض تجمعه المعادن، والنبات، والحيوان، والمعادن تُطلَب لكونها مِن الآلات والزينة كالنحاس والرصاص والجواهر وأمثالها، أو مِن النقود كالذهب والفضة، ويُطلب النبات لأنَّه مِن الأقوات أو الأدوية، وتُطلب الحيوانات لملكية أبدانها واستعمالها كالعبيد والغلمان أو لملكية قلوبها وتسخيرها ليترتب عليها التعظيم والإكرام وهو الجاه، أو للتمتع والتلذذ بها كالجواري والنساء، أو للقوة والإعتداد كالأولاد، هذه هي الاعيان المُعبَر عنها بالدنيا، وقد جمعها الله سبحانه في قوله: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾[٣٩].

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

وأمّا ماهيتها في حق العبد، فعبارة عن جميع ما له قبل الموت فقط، أما بعد الموت فعبارة عن الآخرة، فكل ما للعبد فيه نصيب وشهوة وحظ وغرض ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقه(٤٠)، وللعبد فيه علاقتان: الأولى: علاقة مع القلب: وهي حب الإنسان للدنيا، والثانية: حظه منها وانصراف همه إليها حتى يصير قلبه كالعبد أو كالمحب المستهتر بها، ويدخل في علاقته كل صفات القلب المتعلقة بالدنيا: نحو الرياء، والسمعة ، وسوء الظن، والمداهنة، والحسد، والحقد، والغل، والكبر، وحب المدح، والتفاخر، والتكاثر، فهذه هي الدنيا الباطنة، وما ذُكر من الأعيان هي الظاهرة، وعلاقة مع البدن: وهو اشتغاله بإصلاح هذه الأعيان لتصلح حظوظه وحظوظ غيره(٤١)، إلّا أنّ جميع ما له إليه ميل ورغبة غير مذموم؛ لأن ما يصحبه في الدنيا وتبقى ثمرته معه بعد الموت من العلم النافع، والعمل الصالح فهو من الآخرة في الحقيقة، وقد سميَّت بالدنيا بإعتبار دنوها(٤٢)، وإنّما سميَّت الدنيا من الدنو ولكونها سابقة في البدو، أو أنّها مأخوذة من الدناءة وهي الخسّة أو من الدنو وهو القرب لقربها بالنظر إلى الآخرة(٤٣)، إذ إن كلاً من العالِم والعابد قد يلتذ بالعلم والعبادة بحيث يكون العلم ألذ الأشياء عنده، فهو وإن كان حظاً عاجلاً له في الدنيا إلاّ أنّه ليس من الدنيا المذمومة، بل هو مِن الآخرة وإن عُدَّ من الدنيا من حيث دخوله في الحس والشهادة، فإن كل ما يدخل فيهما فهو من عالم الدنيا(٤٤).

فالدنيا المذمومة هي حظ عاجل، ليست من أعمال الآخرة ولا وسيلة إليها، وما هو إلّا التلذذ بالمعاصي والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الضرورة في تحصيل العلم والعمل(٤٥).

والحقيقة أنَّه ليس دُنيا الإنسان في الواقع إلّا نفسه وما فيها مِن غرائز وشهوات وأفكار واعتقادات، وكل شيء ما عدا نفسه فهو خارج عن ذاته أي أجنبِيٌ عنه، وليس من دُنياه في شيء، ولا يرتبط به الّا بمقدار ما يرتبط في أفكاره وآرائه واشباع شهواته، وتحقيق ما تدفع إليه الغرائز (٤٦).

ولذلك تكون الدنيا المذمومة في الأغلب سبباً للظلم والعدوان والتعدي على الموازين الصالحة، والجري وراء الشهوات، أما الدنيا التي هي مزرعة العلم والعمل والفضيلة والعدل فهي ممدوحة ومن لوازم البشرية؛ لأنّ الدُنيا كالماء إن شربه العطشان على قدر ارتوى وانتعش جسمه، وجرت الحياة في عروقه وشرايينه، وإن أغرق نفسه فيه فنصيبه الموت وعاقبته وبال (٤٧).

وكما أسلف البحث أنّ الدُنيا المذمومة هي حظ نفس الإنسان الذي لا حاجة إليه لأمر الآخرة ويُعبر عنه بالهوى، وإليه أشار الله تعالى بقوله: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى**﴾(٤٨) (٤٩)، لاشك أنّ في كيان الإنسان غرائزاً وميولاً مختلفة وكلّها ضروري لإستمرار حياته، نحو: حب النّفس، حب المال، والحياة المادية، وأمثالها، ولاشك إن مبدع الوجود خلقها جميعاً لذلك الهدف التكاملي، إلّا أنَّها متى تجاوزت حدَّها، وخرجت عن مجالها، وتمرّدت على كونها أداة طيّعة بيد العقل، وأصرّت على العصيان والطغيان، سجنت العقل، وتحكمت بكل وجود الإنسان وأخذت زمام اختياره بيدها، وهذا ما يعبرون عنه بـ (اتباع الهوى)(٥٠).فمسألة اتباع الهوى تأخذ بالإنسان إلى الهاوية، وتغلق عليه أبواب الرحمة, ومما ذُكر

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

من كلام حول اتباع الهوى، أنه أخطر أنواع عبادة الأصنام، بل إن عبادة الأصنام تنشأ عنه، قال تعالى: ﴿**وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾[٥١]، وهو منبع الكفر وعدم الإيمان وهو أسوأ الضلال، كما يقول سبحانه: ﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[٥٢]، وأيضاً نقطة مقابلة لطلب الحق، ويخرج الإنسان عن طريق الله، كما نقرأ في الكتاب العزيز: ﴿**فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ**﴾[٥٣]، فهو بهذا مانع من العدل والإنصاف، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿**فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا**﴾[٥٤]، وينشأ عنه فساد الكون، فنظام السماء والأرض إذا دار حول محور أهواء وشهوات النَّاس، فإن الفساد سوف يعم كل ساحة الوجود: ﴿**وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ**﴾[٥٥]، إلى غير ذلك[٥٦]، وقد وردت مجاميع الهوى والأعيان التي يحصل بها في القران الكريم .. فمجامع الهوى هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ**﴾[٥٧]، والأعيان التي تحصل منها هذه الأمور هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾[٥٨][٥٩].

وقبل الوقوف على تفسير هذه الأية لابد من بيان معنى كل من الشهوة والهوى، والفرق بينهما:

الشهوة من قولهم: "شهيت الشيء اشتهيته، ورجل شهوان : كثير الشهوة"[٦٠]، وهي الرغبة الشديدة والقوة النفسانية فيما يشتهي وما يُشتهى مِن الملّذات المادية[٦١]، فإذا حرص الإنسان على تحقيق الملَّذات المادية إندفع وراء شهواته، ومَن قلّت شهواته، قلّت حاجته[٦٢]، ويرى بعضهم: أنَّها الشوق إلى طلب ما يلائم الطبع، أو حركة النَّفس طلباً للمُلائِم[٦٣].

فالهوى: هو ميلان النَّفس إلى ما تستلذه مِن دون داعية الشرع[٦٤]، والفرق بين الهوى والشهوة: أنّ الهوى لطفُ محلِ الشيء مِن النَّفس مع ميله إليه بما لا ينبغي، وقد يشتهي الإنسان الطعام ولا يهواه، والهوى يختص بالأداء والإعتقادات، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ**﴾[٦٥]، أي لا تتبع ما يُميل إليه طبعك، ويقتضيه رأيك من غير الإستناد إلى دليل شرعي، أمّا الشهوة فتختص بنيل المستلَّذات ويدل عليها قوله سبحانه: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ**﴾، في قوله تعالى: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾[٦٦]، فقد بيّن الله تعالى مراتب الشهوات بعدها، ثم فصّل أصول المستلذات وعدّها [٦٧].

إذ وضحت الآية الكريمة حقيقة الدُنيا وأنّها محفوفة بحبِ الشهوات، وما يُوجِب الضلال والخروج عن الصراط المستقيم، وأنّ رغائب النُّفوس ودوافع الغريزة هي التي تشغل النَّاس عن التبصر، والإعتبار، والتوجه إلى الله سبحانه، وتحجبهم عن منابع النور والحكمة، والنتيجة حرمانهم مِن نعيم الآخرة[٦٨].

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

وقد عدَّد الله (عز وجل) في هذه الآية أُصول الشهوات التي تُنسب إلى النَّفس الإنسانية، وهي التي تُوجب الزيغ والضلال، وإن قلوبَ النَّاسِ مُلِئَت بحُبِها وجُعِلَت مشغوفة بها وهي الستة: النساء، والبنون، والأموال، الخيل، الأرض المخصبة، والأنعام[٦٩]، فالزوجة، والأبناء، والأموال إنَّما هي ثروات تنفع في الحياة المادّية، إلّا أنَّها لا يُمكِنْ أنْ تكونَ هدف الإنسان المؤمن، صحيح أنَّه بدون هذه الوسائل لا يستطيع الإنسان السير في طريق السعادة والتكامل المعنوي، والإستفادة منها في هذا السبيل شيء، وحبها وعبادتها – بغير أن تكون مجرد وسيلة يستفيد منها – شيء آخر[٧٠].

وهذه المشتهيات تتدخل في سلوك الإنسان في الدنيا وتُعيّن مستقبله في العُقبى، فهي قضايا حقيقية تُصدقها العقول، فتكون الآية الشريفة بمنزلة الشرح لحقيقة حال مَن يعتقد إن الإستغناء إنّما يكون بالتلذذ بالنساء والأولاد والأموال وما وهبه سبحانه، فأعرضوا عن الباري عز وجل، لإنهماكهم في هذه المشتهيات وحب الدنيا، وبيّن الله تعالى أنّ ما في الدنيا من جميع المشتهيات هي متاع زائل لا قرار له[٧١].

وفي الآية جاء الفعل {**زُيِّنَ**} مبنياً للمجهول، أي إنّ الفاعل المجهول قد زيَّن للناس حب الزوجة والأولاد والأموال، وبعض مِن المفسرين يرون: أن هذه المشتهيات مِن عمل الشيطان التي يُزينها في أعين النَّاس، ودليلهم قوله تعالى: ﴿**وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ**﴾[٧٢]، وغيرها من الآيات التي تنسب الزينة إلى الشيطان، إلاّ أنَّ هذا الإستدلال غير صحيح: لأن الكلام في الآية الأولى (ال عمران:١٤) ليس عن الأعمال، بل عن الأموال، والنساء، والأبناء، فالصحيح إن الله هو الذي زين للناس ذلك عن طريق الخلق والفطرة والطبيعة الإنسانية[٧٣]، والوجه في عدم تسمية فاعلها، ذلك أن الله تعالى خلق الدنيا وما عليها وسيلة إلى نيلِ الكمالِ والوصولِ إلى الدارِ الآخرة، فكانت الدنيا متاعاً، ودار مقام ينزل إليها الإنسان في برهة مِن الزمن، ليتزود منها إلى سفر آخر طويل، فكلَّما كان الزاد أحسن وأبقى، كان العيشُ في الآخرة أهنأ وأحسن، وقد خلق الله سبحانه الدنيا زينة ليرغب إليها الإنسان، وتكون وسيلة للتزود منها، والتوسل بها إلى الدخول في رضوان الله سبحانه، قال عز وجل: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾[٧٤] [٧٥]. وأمّا إذا جعل الانسانُ الدُنيا وما عليها من الزينة محط نظره وعدَّها أمراً مستقلاً وجعلها هي الغاية من دون أن تكون هي الوسيلة لرضوان الله تعالى، وأحبها بشدة فزينت له أعماله، فكانت الدنيا وبالاً عليه، فتكون الزينة مستندة إلى الشيطانِ أو إلى نفس الإنسان، وإن كانت مخلوقة لله تعالى، فالله سبحانه أذِن للإنسان أن يتمتع بالزينة، ليتمّ النظام، ولكن لم يُزين الدُنيا لتلهّي الإنسان بها وتعرض عن ذكره تعالى، فإنّه سبحانه أعز وأجل وأمنع مِن أن يدبر خلقه بما لا غاية له، أو يُوصِل الإنسان إلى غاية فاسدة، فالتعبير بالمجهول في {**زُيِّنَ**} للتنبيه[٧٦]، فما ذكر في الآية من الأمور محببة لنَّفس الإنسان مجبول بفطرته على الميل إليها، ولأنّها في فطرته عبَّر عنها بالبناء للمجهول، ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ**﴾، فأُبهم مَن زين حب هذه الأمور للإشارة إلى أنها من الفطرة الإنسانية[٧٧]، وقد قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): (**والمهلكات شح مُطاع وهوى متبعٌ واعجاب المرء بنفسه**)[٧٨].. فقال (وجه الشبه

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

متكوناً من أكثر من أمر واحد من غير تركيب ولا انتزاع هيئة، فوجوه التشبيه التي حددها النص الحديثي بينت المهلكات التي هي الشح الغالب على المرء، وتَبْعُه لهواه الذي يقوده أنى شاء من دون الرجوع إلى العقل فضلاً عن إعجابه بنفسه فلم يترك له مجالاً لتقويم شخصه)[٧٩].

ومعنى ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ**﴾، أودعتْ فطرتهم حب هذه الشهوات، وأنَّهم لا يرون فيها نقصاً، ولا مخالفة للكمال، والشهوات المُراد بها موضع الشهوات، فهي من باب ذكر المصدر وإرادة اسم المفعول، فهذه الأمور الستة: (المرأة ، والولد ، والمال، والخيول الأصيلة، والمواشي والإبل، والزراعة، وهي أركان الحياة المادية)[٨٠]، هي المشتهيات وليست هي الشهوات، واطلاق اسم الشهوات عليها للإشارة إلى شدة محبتها والحرص عليها[٨١]، "فجعل الأعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة للإستمتاع بها، وفيه أشار إلى جِناس هذه الأمور، والوجه أن يقصد تخسيسها فيسميها شهوات، لأن الشهوة مسترذلة مذموم مَن اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية"[٨٢]، ولذلك حثَّ الله تعالى المؤمنين على الإنفاق مما يحبون بقوله سبحانه ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾[٨٣]، أي أنّه تعالى (يعلم بما تنفقونه صغيراً أو كبيراً تحبونه أو لا تحبونه)[٨٤]، فالمؤمن الصالح هو الذي يراعي ذلك برغبة نفسية صادقة لينال رضا الله سبحانه ويكبح جماح النَّفس أمام المُغريات الدُنيوية.

وقال تعالى: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ**﴾ ثم جاء بالتفسير ليقرر في النُّفوس أن المُزَّين لهم حبه ما هو إلاّ شهوات لا غير، ثم يفسره بهذه الأجناس فيكون أقوى لتخسيسها، وأدل على ذم مَن يستعظمها ويتهالك عليها ويُرجح طلبها على طلب ما عند الله[٨٥]، ويُرد عليه: "ولسنا نرى من رأي الزمخشري من أن هذه خسيسة في ذاتها، أو يقصد تخسيسها في ذاتها، وإنّما نرى أنّها فطرة الله يبينها الله سبحانه وتعالى: ويشير إلى أنّها مطلوبة مِن كل إنسان وإن المقتصد يُجمل في الطلب ويجعله للخير، وغير المقتصد يُسرف فيفحش، فيكون للشر"[٨٦]، فهذه زينة الحياة الدنيا وهذه متعها، وهي مصدر الخير، ومصدر الشر بها تكون الرفعة، وبها يكون السقوط، وبها تكون العزة، وبها تكون الذلة، وإرادة الإنسان هي التي تجعلها في أحد الطريقين، فإن كانت إرادته قوية حازمة جعلت من هذه الأمور مصدراً للخير، وطريقاً إلى الجنَّة، وإن تحكّم الهوى وغلب الشيطان، وضَعُف الوجدان الديني، تصير هذه الأمور مصدراً للشر، وطريقاً إلى النَّار، فهي طريق الجنَّة عند الأبرار، وطريق النَّار عند الأشرار، كل امرئٍ وما تهوى نفسه[٨٧].

فمَن كان يُريد بعمله دار البقاء فإن وجوده يكون كبيراً بحسب كبر إرادته وواسعاً بسعة قصده، وبذلك تعلو نفسه على نُفوس مَن أخلدوا إلى الشهوات وكان حَظَّهُم من عَمَلِهم كحظِ الحشرات، وغيرها من الحيوانات مِن أكل وشرب وبغي[٨٨].

وفي قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً**﴾[٨٩] الميل هنا معناه: (الإنحراف عن الجادة، ووصفه بالعظم لأن الميول تختلف فقد يترك الإنسان فعل الخير لعارض ما من قبيل شغل أو كسل، او لفسق يستلذ به أو لضلالة، وكأن الميل العظيم هو عدم الإيمان، كما قال تعالى: ﴿**وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا**﴾)[٩٠] [٩١]، إذ لا ميل

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

أعظم من الموافقة على اتباع الشهوات[٩٢]، ومنهم مَن يرى: إن (الميل العظيم) هو هتك الحدود الإلهية بالإتيان بالمحارم[٩٣]، فأهل الباطل يريدون أن تميلوا عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات[٩٤]، فالأشخاص الذين غرقوا في وحول الخطايا والشهوات يُريدون أن يُورِطوا الآخرين في الخطيئة ومُمارسة الإثم، ليكونوا مِن أمثالهم حتى يتلوثوا بالذنوب، بينما يُريد الله سبحانه للناس الطهر والنقاء القلبي بتركهم الشهوات وعودتهم إليه تعالى، لينالوا المعرفة، والصفاء، والتقوى، والسعادة الدائمة [٩٥]، فالصفاء يتم بسلامة القلب واللسان، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): **(والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه)**[٩٦]، فقد (أراد هنا الصفة المعنوية وهي الصفاء ولم ترد في سياق اللفظ الظاهر، فذكر الموصوف القلب، والصفة المعنوية هي صدق اللسان حتى تأمَن الناس منه)[٩٧]، فالكتابة هنا بحسب المُكنَّى عنه أي (كناية عن صفة ففيها يظهر الموصوف وتختبيء الصفة تحت اللفظ مع أنّها المطلوبة في المعنى)[٩٨].

ويمكن أن يكون مفهوم عام لإتباع الشهوات في الآية المباركة، ويمكن أن يكون إشارة إلى الشهوة الجنسية بالخصوص، لأن هذه الآية وردت بعد آيات تحدثت عن حرمة نكاح المحارم والنساء المحصنات والجواري، والبغايا من الجواري، وعلى أي حال إنَّ الآية تقرر حقيقة مهمة في هذا المجال، وهي إن طريق (اتباع الشهوات) يتقاطع مع طريق (الإنفتاح على الله)[٩٩]..

ومن المُهلكات، حب الجاه، فأنّه طبعٌ جُبِلَ عليه القلبُ، ومَن غلب على قلبه حب الجاه صار مشغوفاً بالتودد إلى الخلق، مقصورَ الهمَّ على مراعاتهم، والمراءاة لأجلهم، ولا يزال في أقواله وأفعاله مُلتفِتاً إلى ما يُعظِم منزلته عندهم، وذلك عين النفاق وأصل الفساد، ويجر لا محالة إلى التساهل في العبادات والمراءاة بها[١٠٠]، وهذه الرذيلة مصدر لكثير مِن المفاسد، فهي تُبعِد الإنسان عن الخلق والخالق، ولأجل الوصول إلى أهدافه المشؤومة تُقحِمَه في المهالك، متظاهرٌ بصورة حسنة، كالإحساس بالمسؤولية، وعزمه على أداء الواجبات الإجتماعية، ولزوم الإرادة الصحيحة، وما شابه ذلك [١٠١]..

فحب الجاه مِن الرذائل الخطيرة التي لا تؤثر على الجوانب الروحية فحسب للإنسان، بل تجعله يعيش منبوذاً اجتماعياً[١٠٢]..

ومن نماذج مَن أُبتليَ بهذه الرذيلة في القرآن الكريم:

حادثة السامرّي تبيّن أن حب الجاه كان السبب في ضلال السامرّي مع جمع غفير مِن بني اسرائيل فقد قال تعالى: ﴿**قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ... فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ..**

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ، قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾[١٠٣].

كان السامرّي محبَّاً للجاه بشكل غريب، وسمعته قبيحة عند بني إسرائيل، إذ استغل غياب النبي موسى (عليه السلام) وذهابه للقاء ربه في طور سيناء، فصنع من حُلّي بني اسرائيل

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

عجلاً جسداً له خوار، وقد جمع مقداراً من التراب الذي كان تحت أقدام جبرائيل (عليه السلام) أو مركبه الذي ظهر به عندما أغرق فرعون وجنوده في أليم، فوضع ذلك التراب داخل العجل، فتحرك وخار ونبت عليه الوبر والشعر فسجد له بني اسرائيل[١٠٤]، وقال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿**قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ...**﴾[١٠٥].

فرجع موسى غضبان اسفا على قومه وعاتب أخاه هارون عتاباً شديداً، وتبرأ القوم من فعلِهم واتهموا السامري، فقال الله تعالى: ﴿**فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ**﴾[١٠٦] .

ثم توجه موسى إلى السامرّي: ﴿**قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ, قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي**﴾[١٠٧]، بعد هذا الحوار الذي دار بينهما كان هدف السامرّي من تلك الفتنة المضلّة هو الوصول إلى الجاه والمنصب، والمقام فعاقبهُ الباري سبحانه بالطرد مِن المجتمع والإنزواء[١٠٨]، إذ قال تعالى: ﴿**قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ**﴾[١٠٩]، ويرى بعضهم: أنَّ السامرّي أصيب بمرض نفسي ووسواس شديد إذ كان يخاف مِن جميع الناس، وإذا ما تقرب اليه أحد يصيح ويقول: ﴿**لَا مِسَاسَ**﴾ وهذا جزاء مَن يحب الجاه ويتلاعب بالدين لأجل الأغراض الدُنيوية[١١٠].

وهكذا كلمَّا زاد الإنسان انغماراً في الشهوات وحرصاً على هذه الدنيا الفانية، زادت شهواته قوّة، وبقيت أكثر شهواته بلا اشباع تلح عليه وتؤلمه، وتنغّص عليه عيشته، وراحته حتى يموت في سبيل دنياه[١١١]، فالنَّفس الإنسانية فيها قابلية الإستجابة للمغريات إلّا ما عصم الله تعالى فيُستوجِب ذلك رعايتها بإبعادها عن المُغريات الدُنيوية بالإستعانة بالله تعالى والإستعاذة مِن الشيطان والهوى فالله هو العاصم والمسدد وهو ولي التوفيق.

الخاتمة:

١. بما أن لكل عملٍ أثراً، فعمل الإنسان يترتب عليه الثواب والعقاب فنتيجة العمل الصالح رضوان من الله وأجر غير ممنون، وإن عمل طالحاً ولم يتُبْ فغضب من الله وعقابٌ أليمٌ، وكل هذا نتيجة إرادة الإنسان واختياره، فإن كانت إرادته منضبطة بأوامر ونواهي الشرع المُقدس وإعمال أحكام العقل فتظهر الفضائل الأخلاقية ويسعد الأنسان في الدارين وإلّا كانت حياته مرتعاً للشيطان ومسرحاً لرذائلِ الأخلاق.
٢. لابد من حماية النَّفس من الداخل بترويضها وتهذيبها من الخارج؛ لترقى إلى أعلى الدرجات.

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

الهوامش:

(١) الشمس:٩-١٠.
(٢) النساء: ١٣٤.
(٣) ظ: الفراهيدي, العين:٢٧٠/٧.
(٤) ظ: الشعراوي: تفسير الشعراوي(الخواطر): ٢٧٠٢/٥ .
(٥) أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن احمد، زهرة التفاسير:١٨٩٢/٤-١٨٩٣.
(٦) الشورى: ٢٠.
(٧) ظ: الشعراوي، تفسير الشعراوي(الخواطر):٥/ ٢٧٠٣-٢٧٠٤.
(٨) الألوسي، روح المعاني:١٦٠/٣.
(٩) ابن عاشور، التحرير والتنوير: ٢٢٣/٥.
(١٠) ظ: الألوسي، روح المعاني:١٦١/٣.
(١١) البقرة: ٢٠١-٢٠٢.
(١٢) ظ: ابن عاشور، التحرير والتنوير: ٢٢٣/٥-٢٢٤.
(١٣) ظ: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم:٤١٦/١.
(١٤) ظ: ابن عاشور، التحرير والتنوير: ٣٢٤/٥.
(١٥) آل عمران: ١٨٥، والحديد: ٢٠.
(١٦) النساء: ١٣٤.
(١٧) ظ: الشعراوي، تفسير الشعراوي(الخواطر): ٥/ ٢٧٠٤-٢٧٠٥.
(١٨) ظ: ابن عاشور: التحرير والتنوير: ٢٢٤./٥
(١٩) النساء: ١٣٤.
(٢٠) الشعراء : ٨٨-٨٩.
(٢١) ظ: الطنطاوي، الوسيط للقرآن الكريم: ٣٤١/٣.
(٢٢) ظ: الألوسي، روح المعاني: ١٦١/٣.
(٢٣) الفجر: ١٧-١٩.
(٢٤) ظ : الشعراوي, تفسير الشعراوي (الخواطر): ٥/ ٢٧٠٥-٢٧٠٦.
(٢٥) عنوز صباح عباس، الدكتور, اعجازية التكوين الأسلوبي في النص القرآني : ٢٢٣.
(٢٦) التوبة : ٩١.
(٢٧) النساء:١٢٤.
(٢٨) ظ: الشعراوي, تفسير الشعراوي (الخواطر) :٥/ ٢٧٠٥- ٢٧٠٦.
(٢٩) البقرة: ٢٠١.
(٣٠) الإسراء: ١٨-٢١.
(٣١) محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الكريم: ١٣٩/٤.
(٣٢) ظ: م.ن: ١٣٩/٤.
(٣٣) ظ: م.ن: ١٣٩/٤.

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

(٣٤) ظ: محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الكريم: ٤ /١٣٩.
(٣٥) النجم: ٢٩-٣٠.
(٣٦) ظ: سيد قطب في ضلال القران: ٣٤١٠/٢٧.
(٣٧) آل عمران: ١٥٢.
(٣٨) ظ: سيد قطب، في ضلال القران:٤/ ٤٩٢-٤٩٤.
(٣٩) آل عمران: ١٤.
(٤٠) ظ: النراقي، محمد مهدي، جامع السعادات: ٤٢١/١-٤٢٢، والفيض الكاشاني، عقبات الدنيا: ٣٣، وصالح أحمد الشامي، المهذب من إحياء علوم الدين: ١٢٩، وسعيد حوّى، المستخلص في تزكية الأنفس: ٢٥٥.
(٤١) ظ: النراقي، جامع السعادات: ٤٢٦/١.
(٤٢) ظ: النراقي، جامع السعادات: ٤٢٢/١.
(٤٣) ظ: البحراني, الدنيا الفانية: ١١.
(٤٤) ظ: النراقي, جامع السعادات: ٤٢٢/١، والفيض الكاشاني: عقبات الدنيا: ٣٣, وصالح احمد الشامي، المهذب من احياء علوم الدين: ١٢٧،و سعيد حوى, المستخلص في تزكية الأنفس: ٢٥٣ – ٢٥٤.
(٤٥) ظ: النراقي، جامع السعادات: ٤٢٢/١.
(٤٦) ظ: البحراني, الدنيا الفانية: ١٥.
(٤٧) ظ : الشيرازي, سيد محمد, الفضيلة الإسلامية: ١٠٢.
(٤٨) النازعات: ٤٠.
(٤٩) ظ: النراقي، جامع السعادات: ٤٢٥/١.
(٥٠) ظ: الشيرازي، ناصر مكارم، مئة موضوع أخلاقي في القرآن والحديث: ٢١٨.
(٥١) الكهف: ٢٨.
(٥٢) القصص: ٥٠.
(٥٣) ص: ٢٦.
(٥٤) النساء: ١٣٥.
(٥٥) المؤمنون: ٧١.
(٥٦) ظ: الشيرازي، مئة موضوع أخلاقي في القرآن والحديث : ٢١٨-٢١٩.
(٥٧) الحديد: ٢٠.
(٥٨) آل عمران: ١٤.
(٥٩) ظ : النراقي، جامع السعادات : ٤٢٥/١.
(٦٠) ابن دريد، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة: ٨٨٣/٢.
(٦١) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط: ٤٩٨/١.
(٦٢) أحمد مختار عبد الحميد عمر، الدكتور، معجم اللغة العربية المعاصرة: ١٢٤٥/٢.
(٦٣) عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد فكري، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون:١٦٣/٢.

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

(٦٤) ظ: الجرجاني، التعريفات: ٢٥٧/١.
(٦٥) ص: ٢٦.
(٦٦) آل عمران:١٤.
(٦٧) ظ: العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعد بن يحيى بن مهران، معجم الفروق اللغوية : ٥٦٢.
(٦٨) ظ: إبراهيم سرور، الأخلاق في القرآن من مواهب السيد السبزواري: ٣٢١.
(٦٩) ظ: م. ن: ٣٢١.
(٧٠) ظ: الشيرازي، الأمثل: ٢١٦/٢.
(٧١) ظ: إبراهيم سرور، الأخلاق في القرآن: ٣٢٢.
(٧٢) النمل: ٢٤.
(٧٣) ظ: الشيرازي، الأمثل: ٢١٦/٢.
(٧٤) الكهف:٧.
(٧٥) ظ: إبراهيم سرور، الأخلاق في القران: ٢٢٣-٢٢٤.
(٧٦) ظ: م.ن: ٢٢٤.
(٧٧) أبو زهره, زهرة التفاسير: ٣ / ١١٣٢.
(٧٨) الشريف الرضي, المجازات النبوية: ١٩٦.
(٧٩) عنوز، صباح عباس، الدكتور, الأداء البلاغي في الحديث الشريف: ٧٣ .
(٨٠) الشيرازي, الأمثل: ٢١٧/٢.
(٨١) أبو زهرة, زهرة التفاسير: ١١٣٢/٣.
(٨٢) الزمخشري، الكشاف: ٣٤٢/١.
(٨٣) آل عمران:٩٢.
(٨٤) الشيرازي, الأمثل: ٥٩٥/٢
(٨٥) الزمخشري، الكشاف: ٣٤٢/١ .
(٨٦) أبو زهرة، زهرة التفاسير: ١١٣٣/٣.
(٨٧) م.ن: ١١٣١/٣.
(٨٨) ظ: محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم: ١٣٩/٤ -١٤٠.
(٨٩) النساء : ٢٧.
(٩٠) النساء: ٨٩.
(٩١) محمد حسن حسن جبل، الدكتور، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: ٢١١٠/٤.
(٩٢) الطبرسي، أبي علي الفضل بن الحسن، تفسير جوامع الجامع: ٣٩١/١.
(٩٣) الطباطبائي، الميزان: ٤٩٤/٤.
(٩٤) ظ: الفيض الكاشاني، الصافي: ٤٤٢/١.
(٩٥) ظ: الشيرازي، الأخلاق في القرآن: ٢٦٣/٢.
(٩٦) الشريف الرضي, المجازات النبوية: ٣٥٨ .

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

(٩٧) عنوز، صباح عباس، الدكتور, الاداء البلاغي في الحديث الشريف ١٢٣.
(٩٨) م. ن : ١٢٢.
(٩٩) ظ: الشيرازي، الأخلاق في القرآن : ٢٦٣/٢.
(١٠٠) ظ:النراقي، جامع السعادات: ١٦/٢، والفيض الكاشاني، المُهلكات الكبرى: ١١٨-١١٩.
(١٠١) ظ: الشيرازي، الأخلاق في القرآن: ٧/٣.
(١٠٢) ظ: م.ن: ٩/٣.
(١٠٣) طه: ٨٥ ، ٨٨ ، ٩٥، ٩٦.
(١٠٤) ظ: الطباطبائي , الميزان: ٤٢٥.
(١٠٥) طه: ٨٥.
(١٠٦) طه: ٨٨.
(١٠٧) طه: ٩٥ -٩٦.
(١٠٨) ظ: الشيرازي, الأمثل:٨/ ١٨٧.
(١٠٩) طه: ٩٧.
(١١٠) ظ: القمي علي بن ابراهيم، التفسير القمي: ٢ / ٦١-٦٣, وابن عاشور، التحرير والتنوير: ١٦/ ٢٩٨, وابو زهرة، زهرة التفاسير: ٩ / ٤٧٧٩ , والشيرازي، الاخلاق في القران: ٩/٣-١٠.
(١١١) ظ: البحراني: الدنيا الفانية: ١٥.

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317